المحاضرة السادسة

إبستيمولوجيا علم النفس

1-ميلاد علم النفس

2-علم السيكولوجيا

3-تطبيقات علم النفس: أبحاث أساسية وعلم نفس تطبيقي

4-مشكل وحدة وخصوصية علم النفس

5-مشكل وحدة وخصوصية علم النفس

6-اختلاط وخلاف المذاهب

7-مشكل التفسير في علم النفس

1-ميلاد علم النفس:

مر قرن على ظهور أول كتاب في علم النفس التجريبي أي في سنة 1860 تحديدا " Eléments des psychophisik" لفيشنرFichner. رغم أنه صادر عن اهتمامات فلسفية، هذا الكتاب يقطع مع تقليد علم النفس الفلسفي، مستعملا من أجل دراسة الظواهر النفسية نفس المنهج المستعمل في علوم الطبيعة والحياة. الطبيب والفيزيائي فيشنر كرس علم النفس كعلم تجريبي، وبالتالي كعلم بمعنى أدق. مع ذلك هذا التكريس لم يصر رسميا إلا انطلاقا من اللحظة التي تمأسس فيها من جهة بواسطة تدشين في سنة 1862 من قبل ووندتWundt، لدراسته " علم النفس من وجهة نظر العلوم الطبيعية " المجسدة بواسطة ظهور سنة 1873 – 1874 لأول بحث في علم النفس العلمي (عناصر علم النفس الفيزيولوجي) ومن جهة أخرى وخاصة بواسطة تأسيس بفضل ووندت لأول معهد وأول مخبر لعلم النفس في لايبزيغ سنة 1879، بهذا المعنى وبفضل التأثير المعتبر الذي مارسه بواسطة عديد تلامذته في الأمم الرئيسة (ألمانيا، الولايات المتحدة، إنجلترا، فرنسا وبلجيكا) ووندت يعتبر مؤسس النفس التجريبي وبصفته الممثل الأول لعلم النفس العام.

هذا الميلاد المؤسساتي في ألمانيا وجد تقليدا في المبادرات المماثلة في فرنسا مع محاضرات علم النفس التجريبي التي كان يلقيها ريبو Ribot بجامعة السربون سنة 1885، بعد الظهور الذائع الصيت لكاتبيه " علم النفس الإنجليزي المعاصر " (1870) و" علم النفس الألماني" (1879)، استحدث كرسي علم النفس التجريبي والمقارن بالكلية الفرنسية سنة 1889 الذي منح لريبو، وافتتاح في نفس السنة لمخبر في علم النفس الفيزيولوجي بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا بالسربون، حيث ترأسه ريبو. في الولايات المتحدة تطور علم النفس التجريبي تم على صورة مدن صناعية. إذا كان في أوربا قد إحتل مكانة ضمن العلوم والمعاهد، وتم الإعتراف به كعلم وليس كفرع من الفلسفة فقط، فقد استقبل على العكس من قبل الجامعات الأمريكية التي أعطت له وجها جديدا. هكذا فإن ستانلي هيل Stanley Hell تلميذ وليام جيمس أسس بعدما عمل بعض الأشهر بلايبزيغ إلى جانب ووندت، أول مخبر أمريكي لعلم النفس بجامعة جون مويكينزبالتيمور، وهو ما تم تقليده مباشرة في جماعات أخرى. في سنة 1892 كان قد وجد 17 مخبرا، وأكثر من ذلك، سنة 1887، هيل أصدر أول مجلة أمريكية لعلم النفس (L'american Journal of Psychology) وثمة وقائع أخرى ذات دلالة، ففي سنة 1892 هيل إستطاع أن يجمع 31 عالم نفس في أول جمعية (الجمعية الأمريكية لعلم النفس) وهو أول مجتمع لعلم النفس في العالم.

2-علم السيكولوجيا:

نعرف أن أوغست كونت أخرج علم النفس من برنامجه الوضعي من نظام العلوم. ففي تصنيفه للعلوم الفيزيائية غير العضوية والفيزياء العضوية وبشكل أخص في هذه الأخيرة، لم يمنح أي مكان لمعرفة خاصة عن التنظيم الفعلي، بين العلوم التي تهتم بالتنظيم الاجتماعي والسياسي وتلك التي تهتم بالتنظيم الفيزيولوجي. الإنسان، الحيوان التاريخي الوريث لتقليد يفسر حسبه في حيوانيته بواسطة فيزيولوجيا الوظائف العضوية، وفي بعده الثقافي بواسطة علم الاجتماع كعلم للتاريخ الفكري والأخلاقي للكائن الأكبر: الإنسانية، حيث أن كل فرد ما هو إلا تجريد.

كونت نفسه في مقدمته الأساسية ألم يعبر عن رغبته في أن تصبح دراسة الوظائف العقلية والنفسية دراسة تجريبية وعقلية ؟ ومع ذلك الوقوف ضد العلم السيكولوجي بالمعنى الصحيح يظل موجودا. كونت يرفض الإستبطان في كل أشكاله باعتبارهتأملا وهميا للفكر بواسطة هذا الفكر نفسه. وحدها الملاحظة الخارجية للفرد وهذه الملاحظة هي من عمل البيولوجيا تبقى صالحة. ما يرفضه كونت ليس علم الروح الذي يمكن أن نجعل منه

علم الحياة وإنما هو علم الذات. لا وجود لعلم الذات متميز ويتعذر تخفيضه إلى علم الطبيعة الفيزيولوجي وعلى الطبيعة الاجتماعية لكل الكائنات البشرية.

الإعترافالكونتي بالقيمة الموضوعية لمنهج الملاحظة الخارجية وحده يقود هكذا إلى معضلة لا حل لها: إما أن علم النفس يحتفظ بخصوصيته الإبستيمولوجية وينقلب عندئذ إلى الميتافيزيقا والخطاب الأدبي، أو أنه يخضع موضوعه للمنهج الوضعي وعندئذ يكون علما للطبيعة وليس علما للذات أبدا. في نهاية الأمر، علم النفس يكون خاضعا لمعيار تصور قبلي للموضوعية العلمية مطابقة لمنهج.

الأمر يتعلق حسب عبارة جريكوG.Greco بفيتو، فيتو الوضعية المناقضة لكل إدعاء علمي لعلم النفس كعلم للذات.

هذا الفيتو لازم علم النفس منذ أواسط القرن التاسع عشر إلى اليوم. ولكن رغم هذا الفيتو فإن علم النفس نجح في إكتساب موقعه الرسمي كعلم إنساني تحديدا.

علم النفس العلمي والفلسفي:

لتقويم حالة الوقائع والاتجاهات هناك تقريران يتعاضران، من جهة الإتجاه الدولي لعلم النفس العلمي، الذي يجمع مجتمعات علم النفس الوطنية لم يرد أبدا الانخراط في المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، ليس لأنها لا تهتم بهذه الأخيرة ولكن من أجل الاحتفاظ بمسافة تجاه التأمل الفلسفي. ومن جهة أخرى يوجد مفكرون بالنسبة لهم علم النفس العلمي لا يكفي لمنح معرفة عن الإنسان ويجب أن يكمل بعلم نفس فلسفي (يقال له أيضا أنتروبولوجيا فلسفية). من المهم إذن من أجل فهم إتجاهات علم النفس العلمي المعاصر، البدء بتحديد الاختلافات بين هذين التيارين واستخلاصالاقتضاءات الخاصة بعلم النفس كعلم.

بالنسبة لعديد الكتاب، بشكل خاص الذين لهم آراء وضعية، الفرق بين علوم النفس العلمية والفلسفية يرجع إلى طبيعة المشكلات المعتبرة. العلم السيكولوجي، مثله مثل أي علم آخر، لا يهتم سوى بالأشياء القابلة للملاحظة، بينما الفلسفة تبحث عن الوصول إلى طبيعة الأشياء وجوهرها. من ناحية أخرى، يمكن القول أن الحدود بين علوم النفس العلمية والفلسفية هي مسألة مناهج: مناهج موضوعية من جهة، وتأملية وحدسية من جهة أخرى.

وسيكون أيضا من الخطأ افتراض أن علم النفس الفلسفي هو وحده يعتبر الكائن الإنساني مثلا كموضوع معرفة من وجهة النظر الإبستيمولوجية، بينما علم النفس العلمي يجعل منه موضوعا. ذلك أنه ليس هناك سوى لعب بالكلمات غير واع. يقصد إلى الخلط بين الدراسة الموضوعية للذات مع جهل أو إهمال هذه الذات.

إذا كان الاختلاف بين علوم النفس العلمية والفلسفية لا يرجع لا إلى الاستبطان ولا إلى اعتبار الموضوع، يجب إذن البحث عن هذا الاختلاف على نطاق ضيق، والذي هو نقطة منهج ولكنه يمس حصريا دور أنا الباحث ذاته. الموضوعية كما يفهمها علم النفس العلمي في اتجاهاتها الحالية، ليست أبدا إهمال أو تجريد لوعي الذات، إنها إزاحة التمركز بالنسبة لأنا الملاحظ. من هنا الاتجاهات الثلاثة الرئيسية للبحث أو الثلاث نقاط الكبرى من وجهات النظر التي تميز الاتجاهات الأكثر عمومية لعلم النفس المعاصر.

1- وجهة نظر السلوك، بمعنى السلوك بما في ذلك الوعي، الاستبطان وحده غير كاف لأنه في نفس الوقت ناقص (إنه يصل إلى نتائج العمل الذهني وليس إلى آليته الحميمية)، ومشوه (لأن الذات التي تستبطن هي في الوقت ذاته حكم وطرف، ما يلعب دورا مهما في الحالات العاطفية، وحتى في الميدان المعرفي حيث يعكس في الاستبطان فلسفته الخاصة) ولكن الوعي يظل ظاهرة أساسية إذا وضعناه في مجموعة السلوك.

2- وجهة النظر التكوينية: بمعنى النمو التطوري الجيني: الذي يأخذ في الاعتبار سوى البالغ. فنحن لا نلاحظ سوى الآليات التي قد تكونت، بينما تتبع النمو يوصلنا إلى تكوينها، والتكوين وحده يفسر.

3- وجهة النظر البنيوية: البحث عن بنيات السلوك أو بنيات الفكر الناتجة عن الاستبطان التجريبي للأفعال، ولكن بنيات يمكن بناء تجريبيا آثارها بينما الذات نفسها لا تشعر بوجودها كبنيات. علم نفس الصورة فتح الطريق إلى هذا النوع من الدراسات التي نجدها اليوم في عدة ميادين مختلفة: البنيات السيكولسانية، السيكواجتماعية، بنيات عمليات الذكاء.

وهكذا نفهم إذن جيدا الحدود بين علوم النفس العلمية والفلسفية. فليس لا المشكلات ولا ميادين الدراسة هي التي تميزهما، وأي سؤال يعالج بواسطة علوم النفس الفلسفية يمكن أن يدخل في حقل علم النفس العلمي، وبالمثل نلاحظ فلاسفة يهتمون بالسلوك، أو بالنمو أو بالبنيات. الفرق الوحيد يرجع إلى لامركزية الأنا .[1]

3-تطبيقات علم النفس: أبحاث أساسية وعلم نفس تطبيقي:

[1]Jean Piaget ,Epitémologie des sciences de l'homme , op.cit .

علم النفس يهم كل الأنشطة وكل حالات الإنسان: التربية، الحالات المرضية وعلاج الأمراض النفسية، الصحة العقلية، العمل والفراغ، الإنتقاء والتوجيه المدرسي أو المهني للأفراد. منذ تكوينه، علم النفس العلمي وجد نفسه منخرطا بإرادته أو مكرها في مشكلات التطبيق وحتى بعض مشكلاته ساهمت في توجهه التجريبي أثناء الانطلاق. في الواقع علم النفس وجد نفسه دائما في وضعية مقارنة نوعا ما بالطب، بمعنى مرغما على تطبيقات قبل حتى امتلاك معارف تجريبية وخاصة نظرية والتي مكنت من تأسيس بعض اليقينيات.

وعلم النفس التطبيقي يتجلى أكثر في التربية، وعلم الأمراض العقلية كما في أعمال فرويد وبيارجانيه ودور علماء النفس يكمن في تقديم معطيات سيكولوجية ضرورية لتشخيص الأمراض العقلية. يوجد بهذا الصدد العديد من الأعمال المنصبة على الاختبارات أو مناهج اختبار الوظائف المعرفية في الأمراض العقلية أو على ردود الأفعال الانفعالية وشخصية الذات. علم النفس يدخل أيضا في تنظيم العمل بشكل عام. فهنا علم النفس يقدم توجيها للأفراد في اختيار وظائفهم.

4-مشكل وحدة وخصوصية علم النفس:

ملاحظة أولى تنطرح، متصورا تتابعيا أو تزامنيا، علم النفس يتمثل لنا كتجميع لفروع متمايزة أكثر منه علما واحدا ووحيدا. في الواقع، من جهة النظر التاريخية، إذا أخذنا لوحة مختلف التيارات الدولية لعلم النفس المعاصر فإننا نرى أن علم النفس الألماني مع ووندتوفيشنر ولد عن التقاء الفلسفة بعلم النفس الفيزيولوجي. وإن علم النفس الإنجليزي مع جالتون نتج أساسا عن تقارب التطورية الداروينية مع علم النفس الفارقي، وأن علم النفس الأمريكي خضع لتأثير الداروينية وهو تابع أيضا قبل كل شيء للنزعة التجريبية بعلم النفس الفيزيولوجي لووندت، وأن علم النفس السوفياتي يشتق مباشرة من أبحاث بافلوف النوروفيزيولوجية الحيوانية. ومن جهة أخرى، كانغيلام أشار إلى أن الفروع التي تمثل أجزاء متممة لعلم النفس مثل علم النفس الفيزيولوجي، وعلم النفس الفيزيائي أو بالأحرى أساليب المقاربات المكونة للدراسات النفسية مثل الاستبطان أو الملاحظة الخارجية، لا تتعلق بنفس المشروع أو المعنى الأصلي. هكذا فإن علم الفيزيولوجي يرجع إلى الاكتشاف بواسطة جاليانGalien لوظائف الدورة وللتنفس وحتى ما وراء ذلك، إلى النظرية الأرسطية في النفس كموضوع طبيعي، وبالتالي كموضوع فيزيولوجي. علم النفس من جهته وجد أساسه ومخططه في المحاولة الديكارتية لاختزالالاختلافات بين الصفات الحسية واختلافات الأشكال الهندسية. وبالمثل، علم النفس، كاختبار استبطاني للذاتية، علم المعنى الحميمي،

سيكون محصلة للتأمل البيراني، بينما الملاحظة الدقيقة للاستجابات السلوكية مثلما يطبقها علم النفس المعاصر، تشتق من المسلمة التجريبية للإنسان –الأداة، الموجهة بواسطة اقتضاءات التكيف مع الوسط.

ولكن ما وراء هذا التنوع في المعاني الأصلية للفروع والمناهج السيكولوجية، ألا يوجد إنشقاق أكثر جذرية في المركز الغامض لعلم النفس في الوقت نفسه كعلم لكائن حي، وإذن علم للطبيعة، وللإنسان كمنتوج ومنتج للثقافة ؟

في الواقع، كما بين ذلك بوضوح لاغاش، تاريخ علم النفس هو تاريخ الصراع بين اسلوبي تفكير. هكذا فإن علم النفس ينحل إلى البحث الفيزيائي، والفيزيولوجي أو في تخمينات فلسفية أو سوسيولوجية. هذان الأسلوبان اللذان يسميهما لاغاشبالطبيعانيةوالإنسوية، الأولى ستمثل من رجال مختلفين مثل أرسطو، ووندت، ريبو، بافلوف، واطسن، والثاني بواسطة ستارنوياسبيرس وسارتر. التناقض يتجسد في الطريقة التي يدرك بها هذا الطرف الواقعة النفسية المتمثلة في شيء، وفي شعور من الطرف الآخر. وفي اختيار مناهج البحث التي يجب حسب أحد الطرفين أن تكون تحليلية،وآلية، وكلية وغائية حسب الطرف الثاني. وفي أسلوب المعقولية، المختزلة إلى التفسير الشرعي والكمي بواسطة هذا الطرف، وإلى الفهم بواسطة النمط الكيفي أو النماذج المثالية حسب الطرف الآخر. وفي التشديد على الطبيعة العضوية للظواهر النفسية من هذا الطرف، وعلى الخاصية التاريخية للظاهرة ومصدرها اللاشعوري بواسطة الطرف الآخر. وأخيرا في الأخذ في الاعتباراللوقائع الموصوفة في تمظهرها الحس حركي من هذا الطرف، وعلى العكس لقيمتها الوظيفية لضروريات التكيف الحيوي من الطرف الآخر.

5–عرض موضوعاتي لمختلف علوم النفس:

الوسيلة الوحيدة التي تبقى لدينا من أجل معرفة ما هو علم النفس هي القيام بعرض موضوعات مختلف علوم النفس.

1– **الطبيعانية:** كلمة علم النفس إستعملها أرسطو الذي كتب " كتب في النفس " كلمة النفس تشير إستقافيا إلى علم الروح، ولكن الروح جوهر، بمعنى أساس حال في وعي. ومشكل الجوهر مشكل ميتافيزيقي. مفهوم الروح إذن هو مفهوم ميتافيزيقي وليس علميا، الشيء الذي قاد إلى تحديد تعريف أرسطو. فقط إذا طالبنا ماذا يفهم أرسطو من كلمة روح، فإنه يجيبنا بأن الروح هي صورة الجسد. هذه العبارة بمجرد أن تتخلص من حمولتها الفلسفية تبدو لنا حديثة. إذا كانت النفس هي مجموع وظائف الجسد، الترسيمة العامة التي يعمل فيها هذا الأخير ويستجيب، فإننا نلاحظ أن

علم النفس الأرسطي يعلن ويصور أحد إتجاهات علم النفس المعاصرة: الطبيعانية. التي بإبعادها المنهج الفهمي تجعل من علمنا أحد العلوم الطبيعية، أرسطو يجب أن يتصور كمؤسس لتقليد سيعيده ووندت وفي فرنسا ريبو الذي جعل من النفس علما مماثلا للفيزياء أو للبيولوجيا، تجريبيا خالصا. لقد كتب ريبو في علم النفس الإنجليزي المعاصر، سيغدو تجريبيا خالصا. ليس له من موضوع سوى الظواهر، قوانينها أسبابها المباشرة " [2] وكلمة ظواهر لا يجب أن نفهم منها ما يتعلق بالحياة الداخلية، ولكن فقط ما يكون قابلا للحس الخارجي، سلوك جسم في وسطه. وأكثر من ذلك، ريبو وبافلوف حاولا إقامة علم النفس على أساس تحليل المنعكسات، واطسن أمريكي معاصر طالب بإقامة علم نفس بدون شعور. موضوع علم النفس سيغدو إذن موضوعا ماديا قابلا للتحقق: مجموع إستجابات العضوية، متصورة في مجموعها، لمتطلبات العالم.

1) -نحد من الوعي وبشكل عام أكثر حتى الذات باعتبار أن واطسن لا يريد أن يفهم الكلام عن دائرة عصبية بين الفعل – من العالم –واستجابة الذات. إن عالم نفس سلوكي من مدرسة واطسن لا يمنح أي أهمية للمقاصد ولكن فقط السلوك الذي يختزل إلى مثير – إستجابة–

2) -نأخذ موقفا تحليليا وآليا: الأجزاء تحدد الكل. ما هو أولي، هو العنصر، ذرة وليس المجموع. الإستجابة الشرطية يجب أن توضع في البداية والعادة ليست سوى سلسلة من الإستجابات الشرطية مثل الشخصية.

3) -نبحث عن ترجمة الواقع الذي هو محل تساؤل بواسطة القوانين، كمية على قدر المستطاع على نموذج قوانين الفيزياء.

4) -نفترض هوية في الدعامة بين الظواهر البيولوجية والظواهر السيكولوجية ألا وهي الجسد.

5) -وأخيرا علم النفس الطبيعاني يرفض الإعتراف بالغائية وبأخذ في الاعتبار الغايات المتضمنة بواسطة التصرف الإنساني.

2- **الإنسوية:** في مقابل التقليد الطبيعاني يقوم التقليد الإنسوي، بالنسبة لهذا الأخير الإنسان هو موضوع بحث متميز عن الموضوعات الطبيعية. إنه أكثر من جسد، إنه وعي. هذا

[2]Philosophie des sciences OP.cit .

التقليد يعود إلى ديكارت. موضوع علم النفس ليس ابدا موضوعا ماديا، ومفهوم الظاهرة يجب أن يصحح. الظاهرة ليست هنا سوى الدلالة ذاتها، مناهج الإنسوييننسترتبط إذن كلها بالفهم.

وها هي موضوعات علم النفس هذا المحللة من قبل لاغاش.

1- لا نفترض الاختزالالواطسوني للموضوع بالعلاقة مثير –إستجابة. الواقعة السيكولوجية وعي كما يقول سارتر.

2- لا نحلل في البدء ونأخذ السلوك في دلالته المباشرة ككل. نعتبر أن التركيب الشامل للشخص في وضع داخل العالم هو الذي يعطي معنى للمحددات الجزئية. الكل إذن هو الذي يحدد الأجزاء. مثل هذا الموقف في المعرفة يغدو غائبا في مقابل الموقف التحليلي الآلي.

3- بدلا من القوانين، هناك علاقات وظيفية تفسر فهميا بواسطة ترسيمات مثالية، مماثلة للترسيمات التي نستعملها في التاريخ. لا يوجد فقط مماثلة خارجية خلال تحليل نفسي مثلا، الأمر يتعلق بالنسبة للممارس بتكوين التاريخ الفردي للذات.

4- علماء النفس الإنسوي يفترضون بروزا بين البيولوجي والسيكولوجي. الركيزة ليست الجسد ولكن الشعور أو اللاشعور.

5- وأخيرا علم النفس الإنسوي لا يقصي اعتبارات القيم، على العكس يؤكد على أهميتها " علم النفس يجب أن يكون وظيفيا، كتب لاغاش– التكيف هو المشكل المركزي للبيولوجيا وعلم النفس، عالم الكائن الحي هو دائما عالم القيم ". [3]

6–اختلاط واختلاف المذاهب:

مشكل وحدة علم النفس:

1– اختلاط واختلاف المذاهب:

لا يجب مع ذلك تخيل قطيعة واضحة وصريحةبين التقليدين السابقين الطبيعانيةوالإنسيوية. لاغاش أورد علوم نفس إنسوية في بعض وجوهها وطبيعانية من وجوه أخرى. هكذا فإن التحليل النفسي، نستطيع أن نعتبره كعلم نفس إنسوي، ولكنه يبدو أنه ينجر ببعض منظريه داخل حقل الطبيعانيين.

ولكن هذه التداخلات لا تسهل الحوار. والنقاش بين المذهبين لا يظل دائما على المستوى الموضوعي، بل يتحول إلى جدل.

---

[3]Ibid .

2- مشكل وحدة النفس: كما يبين لاغاش مشكل وحدة علم النفس مشكل واقعي. سنرى بالأحرى علوم نفس، بين علوم النفس الطبيعانيةوالإنسوية، بين علوم النفس التي تستعمل الفهم وبين تلك التي لا تريد أن تكون تأويلية هناك قطيعة تقود إلى حد الشك في كون علم النفس علما.

مذاهب ومناهج:

إذا انطلقنا من تاريخ علم النفس فإننا نصادف أولا مفكرين بدؤوابالاستبطان يسمى مذهبهم مع لاغاش بعلوم نفس الشخص الأول، ثم هناك مفكرون نظروا إلى الإنسان كشيء نعطي لمذهبهم اسم علوم نفس الشخص الثالث. وأخيرا مفكرون يتبنون المنهج العلاجي عالجوا الإنسان الآخر كغير بمعنى كوعي داخل العالم مختلف عن ذاتهم، نسمي مذهبهم بعلم نفس الشخص الثاني.

1- علم نفس الشخص الأول:

أ- **المنهج:**منهج علم نفس الشخص الأول هو الاستبطان، بمعنى الملاحظة الدخلية للذات بواسطة الذات نفسها، هذا المنهج يقدم ميزة متميزة، الأمر يتعلق بمعرفة يكون فيها الموضوع والذات متطابقين وحاصلين كليهما على الوعي. ليس إلا بنوع من التجريد أن نقدر على التمييز بين الوعي التأملي – الموضوعي – والوعي والتأمل – الذات.

نتائج المنهج:

حصر الواقعة النفسية ضمن ظاهرة الاستبطان قاد إلى بعض النتائج الحسنة.

1) -الواقعة النفسية يتم معرفتها من قبل الذات وحدها. أي نقد يكون غير ممكن من الخارج، ولا أية مراقبة.

2) -الواقعة النفسية تتموضع خارج الفضاء. هذا الاعتقاد الناتج مباشرة عن الثنائية الديكارتية التي تقابل الفكر الواعي بالإمتداد، يدخل إبعاد وقائع السلوك.

3) -الواقعة النفسية غير قابلة للقياس. من المستحيل أن نعطي كميته لذكرى ما، أو لانفعال معين. الغضب الشديد هو الغضب العنيف.

4) -وأخيرا بالنظر إلى الملاحظات السابقة، الواقعة النفسية غير قابلة لأن تؤول، ولكن فقط أن تكون مفهومة. هذا يمنح علم النفس خاصية وحيدة: خاصية أن يكون علما، مبعدا التحليل، والتجريب والعلاقات السببية والتكميم.

المذاهب:

هناك توجهات ومذاهب داخل علم النفس الاستبطاني.

1) -علم النفس الانتقائي: الممارس من قبل فكتور كوزان، لم يكن في الأصل سوى فلسفة تفترض وجود في الوعي العناصر الموجودة من قبل في الفكر البشري.

2) -علم النفس الترابطي: يمثله في فرنسا هيبوليت تين H.Taine، يريد تفسير الحياة الذهنية بواسطة الترابط حسب قانونين أو ثلاثة بسيطة من الإحساسات الأولية.

3) -علم النفس التأملي: يرجع كما يرى دولشوفر شروط الفكر إلى وحدة الفكر سواء في شخصيته، أو ميتافيزيقيا في أنماط عالمية للنظام والتنظيم، ويضيف دولشوفر بهذا المعنى يقوم على مشكلات فلسفية عامة.

4)-علم النفس الفينومينولوجي: الذي ينقل إلى دراسة الوقائع الذهنية منهج هوسرل. إنه علم نفس وصفي.

الاعتراضات على الاستبطان:

اعتراض أوغست كونت: العين لا ترى نفسها يقول كونت. لا يمكن أن نكون أمام النافذة ونرى أنفسنا نمر في الشارع. بمعنى أن الشخص لا يمكن أن يلاحظ ذاته.

في الاستبطان تكون الذات هي الموضوع. وهذا خطأ يقول كونت. الموضوع لا يكمن أن يكون ذات من غير تناقض.

بعض المفكرين من أنصار التحليل النفسي ومن الماركسيين يرون أن الشعور هو وظيفة للتبرير والتشويه بدلا من أن يكون معرفة صحيحة.

2- علم نفس الشخص الثالث:

مبدأ علم نفس الشخص الثالث هو نقيض مبدأ علم نفس الشخص الأول. الواقعة النفسية يجب أن تعتبر شيئا. بدلا من الملاحظة الداخلية نعتمد الملاحظة الخارجية. بدلا من الموضوع: الشعور نضع الموضوع: السلوك. ولكن ما هو السلوك ؟ السلوك هو مجموع ردود الأفعال للجسم على أفعال العالم.

المناهج:

على عكس الملاحظة الداخلية، الملاحظة الخارجية تتضمن تعددية في المناهج التي لها علاقة مع علوم أخرى.

أ- **مناهج المخبر**:علم النفس الفيزيائي: نستعمل مواد من الفيزياء من أجل إظهار العلاقات السيكولوجية.

ب- **مناهج المخبر**:علم النفس الفيزيولوجي: نلجأ إلى العلاقات وإلى مواد فيزيولوجية، بواسطة أجهزة متنوعة نتوصل إلى الشروط العضوية للواقعة النفسية.

ت- **الملاحظة المباشرة للسوك**:منهج الملاحظة المباشرة للسلوك الممارس من قبل بافلوف في روسيا، وفي أمريكا من قبل واطسن Watson. هذا المنهج مشتق عن الإجراءات المطبقة من قبل ياركسYerkes أولا، ومن قبل ثورندايك Thorndike في دراسته علم النفس الحيواني.

في الأخير نذكر مناهج نفسية خالصة تتمثل في الاستبطان التجريبي والاختبارات. الاستبطان التجريبي: جمع بين علم نفس الشخص الأول وعلم نفس الشخص الثالث. يمارس هذا المنهج من قبل مدرسة ويرتزبورغWurtzbourg.

الاختبارات:اخترعت في الولايات المتحدة سنة 1890 بواسطة كاتيل Cattell تقوم على تقديم للأشخاص الذين نرغب في اختبار نفسانيتهم، أو اختبار هذه الوظيفة أو تلك، اختبارات مثبتة لمرة واحدة. من بين تلك الاختبارات اختبارورشاخ Rorschachالذي يطلب من الشخص تفسير بقع الحبر. وإختبارات الذكاء من قبل الفرد بيني وسيمون.

المذاهب:

أ- **السلوكية**:موضوع علم النفس هو السلوك، حيث أن التأويل ميكانيكي صارم والذي ينحل إلى ردود أفعال. هذا المنهج يرفض أخذ الشعور في الاعتبار. لا يوجد تمايز أساسي بين علم النفس والبيولوجيا.

ب- **نظرية الصورة**:إلى جانب علم نفس السلوك يجب أن نذكر نظرية الصورة (الجشتالتيةGestaltlheorie) إنها تعترض على فكرة التحليل وتجعل الكليات الدالة تظهر لوحدها، سواء مع ويرتهايمر حيث تقود إلى إضاءة الإدراك، أو مع كورت لوين Curt Lewin حيث وصف السلوك بواسطة ترسيمات عامة.

علم نفس الشخص الثاني:

موضوع علم نفس الشخص الثاني هو الأنت، الإنسان متصورا كشعور موضوعي، يقع في العالم بواسطة جسده. مبدؤه هو القضية التي تقول بوجود أسلوب إدراك متميز أصلي للشخص باعتباره شخصا وليس شيئا.

المناهج:

مناهج علم نفس الشخص الثاني تقود كلها إلى استهداف شعور ما ضمن التمظهرات التي يتموضع بها:

1) -المحادثة: هذا هو منهج المحللين النفسانيين.
2) -ملاحظة الأعراض.
3) -الإستبيانات .
4) -سير الحياة.
5) -دراسة الأعمال: يوجد علم نفس الأدب.

المذاهب:

1- علم النفس الوصفي: علم النفس الوصفي ممثل بكتابياسبرسJaspers علم النفس المرضي العام. بعدما طرح عدم قابلية اختزال الذهني إلى العضوي ياسبرس مطبقا مبدأه، بين أنه لا وجود لظاهرة جسدية يمكن أن نعتبرها سبب شعور محدد. الإصابات المخية ليست سوى شروط بعيدة للأمراض العقلية.

2- علم نفس الأعماق: إلى جانب علم وصفي خالص، بعض علماء النفس بحثوا عن تحديد الجذور، الأسباب العميقة للظواهر العقلية. إنهم علماء التحليل النفسي وعلماء الطباع.

7-مشكل التفسير في علم النفس:

نعرف أن كونت في قانون الأحوال الثلاثة أقصى من الحالة الوضعية كل محاولة للبحث عن الأسباب باعتباره أسلوب تفكير ميتافيزيقي.

تفسير الوقائع، مختزلا إلى حدوده الواقعية ليس منذ اليوم سوى العلاقة المبنية بين مختلف الظواهر الخاصة وبعض الوقائع العامة التي يقلص تقدم العلم عددها. بعبارة أخرى مفهوم التفسير بالمعنى الوصفي يتحدد بتأسيس قوانين كمية بين الظواهر الملاحظة. العلم المعاصر لم يمتثل لهذا المبدأ. سواء في العلوم الفيزيائية الكيميائية أو العلوم البيولوجية، الاستعمال العقلاني لمفهوم السبب أصبح جاريا ولا يكف عن أن يظهر خصوبة كبيرة. على العكس، علم النفس معاقا منذ الانطلاقة بواسطة الفيتو الوضعي الذي طرح عليه، وجد صعوبات أكثر لشرعنة لجوئه

للتفسير السببي، وحتى يمكن أن نضيف، شرعي من حيث أن صياغة قوانين عامة يبدو أنها تفرغ فردية السلوكيات الفردية. لهذا فإن إدانة التفسير في علم النفس تم النطق بها لأسباب متعارضة. ورثة وضعية صارمة أمثال سكينر Skinner أو وودرو Woodrow وأنصار علم نفس فهي لفرديات مثلما يقترح الفينومينولوجيون. سكينر رفض الفرضيات الفيزيولوجية والذهنيةوحاولالاحتفاظ بوصف صارم لوقائع الملاحظة المباشرة، من غير أن يمنحها خصائص محلية أو فيزيولوجية. إذا كان الفينومينولوجيون مثل ياسبرس يقتصرون أيضا على الوصف، فإنه على العكس، لأنهم يقصدون فهم أصالة الوعي الذي يزدريه السلوكيون، بمعنى كشف دلالة هذه المحتويات. والحال أنه يجب الاعتراف أن هؤلاء وأولئك لم ينجحوا أبدا في الاحتفاظ بوعدهم. الأول لأنهم لا يستطيعون تجنب مفهمة المعطيات التجريبية وتكوين جهاز منطقي للوصف مع تركيبه وعلم دلالته. مثلا، لا شيء ساذج أكثر من المثير المفهوم المألوف في الظاهر الذي يمكن أن يحمل عدة مختلفة جدا. ومع ذلك رفض كل نظرية أليس هو التموقع نظريا ؟ أما الفينومينولوجيون، فبحثهم عن الفهم الساذج للتجربة المعاشة لذات ما ألا ندينهم في إبدال تصور التفسير السببي والرياضي، بالمقاربات المثيرة ولكنها عقيمة من حيث الاستعارات الجميلة ؟ على كل حال، الظنة المشتركة للوضعية والفينومينولوجية تجاه التفسير العضواني بمعنى ذو الأساس الفيزيولوجي بشكل خالص، برغم هذا وذاك، وإن كان لأسباب متعارضة (الفيزيولوجي حقيقة مجردة ومستنتجة وإذن ذاتية بالنسبة لسكينر. إنه مركز تحليلي وآلي وإذن موضوعي بشكل خالص بالنسبة للفينومينواوجي)، على الامتناع عن كل تأكيد بواسطة علوم الحياة. من هنا خطر العقم. الرضا ببناء دوام العلاقات الرياضية بين متغيرات ملاحظة من غير إعلامنا بطبيعتها، أو وصف محتوى كل شعور من غير رؤية إدراجه العضوي، هو الاستسلام إلى صياغة مجانية، مصطنعة وباطلة. لهذا السبب فإن العمل العلمي في الفيزيولوجيا كما في غيرها يجب أن يكون حسب صيغة بياجي المرور المستمر من البحث عن القوانين إلى الفرضيات التفسيرية. في الواقع بياجي يميز بين ثلاثة مساعي للبحث الفيزيولوجي. المسعى الأول شكلي ويتمثل في بناء وقائع عامة أو قوانين. لكن القانون في ذاته لا يفسر شيئا. إنه يقتصر على ملاحظة عمومية لعلاقة واقعية (تتابع، علة) التفسير لا يبدأ إلا مع التنسيق بين القوانين وهذا التنسيق يتجلى تحت شكلين متكاملين يتحققان بواسطة المساعي التالية: أولا، على الشرعية البسيطة يجب إضافة البناء الاستنباطي، الذي على بساطته نستخلص بواسطته القانون الذي نفسر به القوانين المفترض تفسيرها. هذا الاستنباط لقانون انطلاقا من مجموعة قوانين أخرى يتطابق في الرياضيات مع نظرية ما انطلاقا من مبادئ أخرى إذا كان هذا الاستنباط يكفي في الرياضيات، بفضل مثاليته، فإنه بحاجة في العلوم التجريبية من أجل أن يصبح تفسيرا سببيا، إلى أن يكمل بواسطة مسعى ثالث يقوم على تطبيق الاستنباط على موضوع واقعي. بعابرة أخرى،

إنها مرحلة مرجعية القوانين إلى الواقع. عالم النفس يسلم إذن على هذا المستوى بتشاكل بين عملية تفكيره والظواهر الواقعية للتجربة. ولكن الواقع والاسقاط ذاته يمكن أن يدركا بطرق مختلفة. هكذا يمكن أن نتصور الواقع إما كوجود سابق داخل أو خارج العملية السيكولوجية وعندئذ الإسقاط السببي يتحدد باختزال خالص وبسيط لهذا النمط من الواقع وإما كدينامية بنائية لنشاط بناء صور جديدة وفي هذه الحالة الإسقاط يتطابق مع ميكانيزم البناء ذاته. من هنا حسب بياجي تصنيف نماذج التفسير السيكولوجي بين قطبين: التحول المنهجي والبنائية.